

يوسف الصديق لـ «العرب»: أدعو الغنوشي للانسحاب رفقا بعجزه وبتونس

المفكر التونسي يعتبر أن الموروث الإسلامي يتهاوى بسبب تناقضاته



في حوار مع «العرب» دعا الفيلسوف التونسي، يوسف الصديق، راشد الغنوشي رئيس البرلمان إلى الانسحاب من المشهد وفسح المجال للشباب وذلك رفقا بعجزه وبتونس، مؤكداً أن تحركات الغنوشي أهانت تونس، وتدفع نحو تفكيك دولتها الوطنية. ونوه الصديق بأن الموروث الإسلامي يتهاوى لما يقدمه من تناقضات.

صفير الحيدري
صحافي تونسي

تونس - في خضم أزمة سياسية تعصف ببلاده دعا الفيلسوف والمفكر التونسي، يوسف الصديق رئيس البرلمان راشد الغنوشي إلى التنحي رفقا بعجزه وبتونس معتبرا مجدداً أن الغنوشي الذي يدور حوله صراع كبير داخل مجلس النواب لا يؤمن بالوطن وأضاف الصديق في حوار مطول له مع «العرب» أن الموروث الديني في العالم العربي، على غرار المصحف وصحيح البخاري، يتهاوى يومياً بسبب تناقضاته، مشيراً إلى أن بلاده تشهد تضيقاً متفاقماً على الحريات الفردية وذلك في تعليق له على الحكم الصادر ضد مدونة تونسية بسبب محاكاتها للقرآن.

ويعد الصديق أحد أبرز المفكرين العرب في القرن الواحد والعشرين، ومن أبرز مؤلفاته «هل قرأنا القرآن أم على قلوبهم أقبال؟» و«الأخر والأخرون في القرآن»، بالإضافة إلى العديد من الترجمات من بينها ترجمة المصحف إلى اللغة الفرنسية وغيرها.

الغنوشي وفوضى البرلمان

تعيش تونس على وقع أزمة سياسية حادة مع استمرار تعطيل أشغال البرلمان وسط دعوات وتحركات تستهدف إسقاط رئيسه الذي يتزعم حركة النهضة الإسلامية راشد الغنوشي.

وعند سؤاله عن قراءته للأحداث المتسارعة في البرلمان قال يوسف الصديق «ادعو راشد الغنوشي إلى الانسحاب من المشهد نهائياً رفقا بعجزه ويتونس وبحركته (النهضة)... هناك شباب في النهضة لعله قادر على تسيير الحركة وتولي مهام في الدولة على غرار لطفي زيتون أو عبداللطيف المكي أو عبدالمجيد الجلاصي... الغنوشي قاصر إدراياً وثقافياً، وهذا ليس تجنيا فقد درست رفقة الغنوشي في وقت ما وأعرفه.. يمكن أنه اطلع على حسن البناء وتفكيره، ولا شك في ذلك، ولكن لم يطلع على التجارب الأدبية العميقة القادرة على تكوين سياسيين ناجحين».

يوسف الصديق يرهن نهاية الأزمة السياسية في بلاده بتغيير دستور الجمهورية الثانية المصادق عليه في 2014

ويشرح الصديق «أنا قلتها وسأكرها للمرة الألف: الغنوشي لا يؤمن بالوطن وهذا يتبينه أي شخص بسيط من خلال تحركاته واتصالاته بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان وغيره.. لكن منذ قدومه إلى تونس في 2011 قلت إن البلاد ستدخل في نفق مظلم». وكانت كتل برلمانية قد دفعت بلائحة لسحب الثقة من الغنوشي بتهمة الإخلال بنظام المجلس النيابي الداخلي ما تسبب في حالة من الفوضى داخل البرلمان قد عطلت أشغاله بالكامل وأرغمت الرئيس قيس سعيد على الدخول على الخط محذراً من حل مجلس النواب. ويرهن المفكر التونسي نهاية الأزمة السياسية العميقة بتغيير دستور الجمهورية الثانية الذي تمت المصادقة عليه في 2014.

فيلسوف يحاول تصحيح المسار

ويطالب يوسف الصديق بأن يفتح المسلمون ملف تاريخ «هذه البؤرة» التي لم «ياتنا منها غير النص القرآني» منوهاً بأن «الدولة العباسية أيضاً جاءت مخلوطة بالعنصر الفارسي بابومسلم الخراساني صاحب الانقلاب فازدهر التدوين وجاء البخاري ومسلم وسيرة ابن هشام والأشياء المؤسسة بعد انقطاع كبير للتدوين والمعرفة».

ويلهجة استنكارية يستغرب الصديق استغناء المسلمين عن تاريخ 100 سنة تقريبا دون أن يقوم هؤلاء بدراسة معمقة لها قائلا «لو كنت رئيسا مثلا أو ملكا لا يمكن أن أبت في قضايا الشيعة والسنة أو هذا حنبلي أو أشعري لأنه ببساطة ليس لدينا أي معطيات ووثائق عن تلك الفترة».

ولدى إجابته عن التوجس الذي تخيره تصريحاته وغيره بشأن الموروث الديني يقول الصديق «إنها رقصه الديك المذبوح، هم يستسهلون شتم المستشرقين واتهامهم بالتامر على الإسلام وغير ذلك، ولكن الآن أصبح أبناءنا في برلين وباريس وحتى تونس وغيرها من العواصم العربية قادرين على الاقتناع بدراسات جاكين الشابي وغيرها».

ويجيب الصديق أن هذا الموروث مليء بالتناقضات متسائلا «كيف يمكن أن تدرسيني من ناحية أن الرسول في سورة الإسراء والفرقان يتسوق وباكل الطعام مثلنا، ومن ناحية أخرى تتحدث نفس السورة عن تحديه بأن يكون له بيت من زخرف.. نحن نستطيع أن يكون لنا بيت من زخرف فما بالك بالنبي وهو في النهاية قال لهم: «سبحان ربي» أي «لا أستطيع، ما أنا إلا بشرأ رسولاً».

ويضيف «نفس المراجع تخبرنا بأنه (الرسول) كان ينبع الماء من أصابعه ليشرب الصحابة.. 15 ألف صحابي شربوا من أصابعه». ويختتم المفكر التونسي حديثه بالتأكيد على أن الموروث الإسلامي يتهاوى مستشهداً بـ«مضامين صحيح البخاري التي تقول إن القرآن أسس الحرية المعتد وغيره.. ماذا يعني إذن هذا الحديث: أمرت أن اقاتل الناس حتى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله.. وهذه حجج الإرهابيين لقتل الناس اليوم.. نحن ناس نسعى إلى أن يسلم الجميع ولو بالقوة».

سابق بمشروع قانون للحريات الفردية والمسواة التامة بين الجنسين. وفي حديثه عن تقرير لجنة الحريات الفردية والمسواة حمل يوسف الصديق مسؤولية فضله لأعضاء اللجنة قائلا «عندما تكون عاجزا عن القيام بمهمة ما، لا تقبل بها».

وأضاف «هناك جهل ببعض المعطيات أيضا في مخرجات عمل هذه اللجنة وأبلغتهم بهذا.. لا يمكن أن تخير التونسي في مسألة المساواة في الإرث مثلا.. فإما أن تكون هناك مساواة وحتى أن يمنح الرجل ما هو أكثر لشقيقته في هذا الإطار وهو ليس محرّم دينيا أو أن تبقى الأمور على حالها أي أن تكون أحكام الميراث حسبما ينص عليه القرآن».

وعرف يوسف الصديق، عالم الأنثروبولوجيا، بانتقاداته اللاذعة للتعاطي العربي والإسلامي مع الموروث الديني من قرآن وأحاديث نبوية وغيرها دون القيام بأي مراجعات لهذا الموروث.

موروث ديني يتهاوى

وفي حديثه لـ «العرب» يقول الصديق «لم يقرأ لا التونسيون ولا غيرهم القرآن لأنه جاء ظرف خطير في تاريخ هذا الدين لم يتم التطرق إليه حتى الآن.. ولم تقدر على استكشاف خطورة هذا الظرف وهي مرحلة تدوين القرآن.. يُقال إن عثمان برئاسة زيد بن ثابت قام بجمع الآيات في مصحف ولكن لا تعرف عن ذلك شيئا.. ومع ذلك نقله».

وأضاف «بعد ذلك بقي العالم الإسلامي قرنا كاملا إلى حدود قيام الدولة العباسية (الدولة الأموية) لم يصدر أي وثيقة له ولا أي عمل أدبي أو علمي أو غيره.. إذن نحن ليس لدينا تاريخ بل لدينا بؤرة تتمثل في تلك الفترة التي دامت قرنا تقريبا (662 - 750)».



يوسف الصديق اعتبر أن مخططات تفكيك الدولة التونسية تبدو ظاهرة في اتصالات الغنوشي الخارجية وإهانة تونس في بعض الأحيان، مستشهدا باستبعاد الراية التونسية عند استقباله من قبل الرئيس التركي في وقت سابق



نفس أخطاء الماضي» في إشارة إلى فترة حكم بن علي الذي كانت تسانده موسي. وأضاف «تحدثت مع موسي مرتين بطلب منها وأبلغتها بأنه لا يمكن أن تكون معنا ما لم تقم بنقد ذاتي بناء للفترة التي ساندتها والتي كانت المرحلة الكارثية التي ترأس فيها بن علي الدولة طيلة 23 عام».

لكن الصديق يعتبر أن هناك نوعين من الخطاب السياسي في تونس: خطاب جامد وخطاب واضح، الأول يمثل الغالبية الساحقة من الفاعلين السياسيين والثاني تمثله موسي فقط. وعن حديثه عن المخاوف من تفكيك الدولة الوطنية التونسية يقول الصديق «مخططات تفكيك الدولة تبدو ظاهرة في اتصالات الغنوشي الخارجية وبإهانة تونس في بعض الأحيان.. تابعتم كلكم كيف تم استبعاد الراية التونسية عند استقباله من قبل الرئيس التركي.. كان من المفترض أن يحتج على ذلك.. الرأي العام لن يغفر له ذلك».

مخاطر محدقة بالحريات

قبل أيام، اصدر القضاء التونسي حكما على أمانة الشرقي، وهي مدونة شابة، يقضي بالسجن لمدة 6 أشهر وخطية مالية وذلك بتهمة التحريض ونشر الكراهية، على خلفية نشر الشرقي لسورة أطلقت عليها «سورة كوفيد - 19».

في تعليقه على الحكم يقول يوسف الصديق «هذا القرار عبث بالبلد.. الكل يعرف أن هناك نصا يحاول تقليد سورة التكويد مثلا واستدل به قيس سعيد في كلمة له: إذا الدساتير سئلت بأي حبر كتبت».

ويضيف أن «المتنبي مثلا والمعري قلدا القرآن.. والأهم هو أن الله دعانا إلى أن نحكي القرآن بالقول فليأتوا بآية من مثله.. أين تكون أمانة مخطئة إذن.. في اعتقادي عندما تأتي بنص وتقول إنه أفضل من القرآن عندها يكون هناك خطأ».

ومع هذا الحكم يتجدد الجدل في تونس حول واقع الحريات فردية كانت أو عامة خاصة وأن السلطات دفعت في وقت